ظاهرة ختان الإناث في المجتمع العربي: موروث ثقافي أم عنف أسري؟

د. عواطف عطيل

قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشاذلي بن جديد– الطارف، awatefatil@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/09/04 **تاريخ المراجعة:** 2019/09/04 **تاريخ القبول:** 2019/10/31

ملخص

يدور موضوع هذه الدراسة، حول واحد من الموضوعات السوسيولوجية، الأكثر إثارة للجدل بين المشتغلين في هذا الحقل العلمي، والمتمثل في ظاهرة ختان الإناث، لترنحه ضمن الأعراف والعادات الجمعية من جهة، وضمن أنماط العنف الممارس ضد الطفولة والمرأة من جهة أخرى، ولأنه يبرز في الوقت نفسه، الهيمنة الذكورية على تنميط الحياة الجنسية للمرأة، والتحكم فيها، وهو ما سوف نتناوله ضمن مقاربة سوسيولوجية– دينية، نناقش من خلالها المفهوم الديني وكذلك الاجتماعي– الثقافي لختان الإناث، أنواعه، ومكامن ممارسته، وتحديد العوامل التي تدفع إليه، والآثار المترتبة عنه.

الكلمات المفاتيح: ختان الإناث، موروث ثقافي، رمزية اجتماعية، عنف أسري.

Female Circumcision in Arab Society: Cultural Heritage or Domestic Violence?

Abstract

The subject of this study revolves around one of the sociological issues, which is female circumcision. This later has aroused great controversy among socoiologists, for being classified between the norms and customs of society on the one hand, and the types of violence against children and women on the other. It, also, shows the male domination and control of the stereotyping of women's sexual life, this is what we shall deal with in this sociological-religious approach through which we shall discuss the religious and socio-cultural concept of female circumcision, its types, the grounds of its practice, what motivates it, and its consequences.

Keywords: Female circumcision, cultural heritage, social symbolism, domestic violence.

La Circoncision Féminine dans La Société Arabe: Héritage Culturel ou Violence Domestique?

Résume

Le sujet de cette étude tourne autour des questions sociologiques, en premier lieu la circoncision féminine. Ce qui a par la suite suscité une vive controverse parmi les sociologues, car la circoncision a été classée parmi les normes et coutumes de la société et les types de violence à l'égard des enfants et des femmes. Cela montre également la domination masculine et l'impact des stéréotypes sur la vie sexuelle des femmes, d'ailleurs, c'est ce que nous aborderons dans cette approche socioreligieuse à travers laquelle nous aborderons également le concept religieux et socioculturel de la circoncision féminine, ses types, les motifs de sa pratique, ce qui la motive et ses conséquences.

Mots-clés: Circoncision féminine, patrimoine culturel, symbolisme social, violence domestique.

المؤلف المرسل: عواطف عطيل لموالدي، awatefatil@gmail.com

مقدمـــة

جرى العرف الاجتماعي، في معظم المجتمعات العربية، على انفراد عادة الختان بجنس الذكور، لكن البعض منها، يمارسها على جنس الإناث أيضا، انطلاقا من معتقدات جمعية، تجد أصولها وتبريرها، فيما هو ديني. إذ ليس بين المؤسسات الاجتماعية، من تضاهي الدين، في سيطرته على نفسية الفرد، وزجره وكبح جماح شهواته، سواء كان بدائيا أو متحضرا. وعليه، وحتى تشرعن الكثير من المجتمعات، ممارسة عادات جمعية معينة، فإنها تردها أو تنسبها إلى الديني، وتعد عادة ختان الإناث إحداها.

إن ختان الإناث في مجتمعنا المغاربي، عادة غير معروفة، رغم أنها تمارس في بعض المجتمعات الإسلامية المتاخمة، منذ القدم. لكن رغبتي في دراسة الموضوع، ساورتني الخوض فيه، ليس للاختلاف في ممارسة هذه العادة الجمعية، وسندها الديني فحسب، بل لاحتدام المساجلة والجدال، بين مختلف الحقول المعرفية، بما فيها علم الاجتماع، حول طبيعتها، التي تترنح بين الموروث الثقافي وصنوف العنف، نظرا لانعكاساتها الصحية والجنسية والنفسية على المرأة. لاسيما مع تنامي الوعي الاجتماعي المحلي والعالمي، منذ تسعينيات القرن العشرين، بضرورة منع هذه الممارسات، التي تسيء إلى المرأة وتضر بها، واعتبارها عنفا ضدها، أكثر منها عادة جمعية، خاصة إذا علمنا أن في إفريقيا وحدها، تتعرض نحو ثلاثة ملايين فتاة، للختان سنويا[1].

والملفت في الأمر، أن الهدف الاجتماعي المرجو من ختان الذكور وختان الإناث، ليس واحدا، إذ يمثل الأول مطلبا دينيا، فيما يعكس الثاني إخماد الوظيفة الجنسية للأنثى. ومن ثم، فالبون واضح بين الممارستين، داخل العادة والثقافة الواحدة. وهذا يشير إلى التمييز بين الجنسين، أكثر منه تجلٍّ لممارسة ثقافية. فهل معنى ذلك أن تقبل بعض أشكال العنف الممارس ضد المرأة، بحكم أنها عادة جمعية، متضمنة في التراث الثقافي للمجتمع؟ وإذا سلمنا بالسند الديني لختان الإناث، فلماذا إذن، لا يكون انتشاره على القدر نفسه الذي عرفه ختان الذكور في كافة المجتمعات الإسلامية؟ لماذا لم تطرح الانعكاسات الصحية والجنسية والنفسية فيما يتعلق بختان الذكور؟ وهل غياب هذه الظاهرة في المجتمعات المغاربية، يعني أن ثمة عادة أخرى بديلة عنها؟ تحاول التحكم في الوظيفة الجنسية للمرأة، وتلبي متطلبات المجتمع الذكوري، وفقا للمعايير التي يرتضيها.

إن كل هذه التساؤلات، قد شكلت منطلقا لدراسة الموضوع، إيمانا منا بأن الباحث السوسيولوجي، لا يجب أن يتقيد بالمشكلات الاجتماعية والتربوية، التي تنحصر داخل انتمائه الجغرافي، بل إن الكشف عن الحقيقة العلمية، في محاولة تفسيرها وفهمها، يتجاوز ذلك. إن مقاربتنا للموضوع، تجمع بين منظورين سوسيولوجي وديني، من حيث التأصيل النظري والتاريخي لظاهرة ختان الإناث، ولكنها تبحث في العوامل الثقافية والتربوية المفضية، إلى ممارسة هذه العادة الجمعية، والعادات الأخرى ذات الصلة، مع تبيان وظيفتها التربوية والجنسية في المجتمع العربي.

أولا: تحديد المصطلحات والمفاهيم:

تقتضي منهجية البحث العلمي، أن نحدد دلالة المصطلحات والمفاهيم الأساسية، قبل الخوض في دراسة أي موضوع، تجنبا للخلط والتداخل مع مفاهيم أو مصطلحات أخرى ذات صلة، أو تلك التي تشتمل على أكثر من معنى. وعليه، سنتناول ضبط مفاهيم الدراسة، متوخين في ذلك، ترتيبها بحسب ورودها في العنوان.

1- الختان Circumcision:

يعتبر الختان ظاهرة اجتماعية، أنتجتها المجتمعات القديمة، منذ أكثر من **2000 سنة**[2] ويرجعها بعض المؤرخين إلى عصور الفينيقيين والمصريين القدماء، فيما يرجعها البعض الآخر إلى الثقافات الإفريقية القديمة، لأغراض تترنح بين الثقافية والدينية، ونظرا لتكرارها، اكتسبت صفة العادة الجمعية، وإن كانت تمارس بشكل كبير على الذكور، بحيث تعد لدى بعض القبائل الإفريقية، جزءا من طقوس التكريس[3]، لكنها تحولت في كثير منها إلى شعيرة دينية، مع ظهور الديانات السماوية وتحديدا اليهودية والإسلام.

يعرف الختان لغة بأنه: القطع. والختان والختانة لغة الاسم من الختن، وهو قطع القلفة من الذكر، والنواة من الأنثى، كما يطلق الختان على موضع القطع[4] وجاء في لسان العرب: خَتَنَ الغلامَ والجارية يَخْتِنُهما ويَخْتُنُهما خَتْنًا، وقيل: **الختن** للرجال، و**الخفض** للنساء[5] أما **الإعذار** فإنه مصطلح مشترك بينهما[6]. وللعلم، يصطلح على الختان تسمية "**الطهارة**" وهي متداولة في المجتمع العربي، بما فيه المجتمع المغاربي. في حين يقال للذي لم يُختن: "**أقلف**"، والأنثى "**قلفاء**"، وإزالة **القلفة** من الأقلف تسمى **ختانا** في الرجل، و**خفضا** في المرأة.

أما عن عملية الختان، فيعرفها **د. مصلح الصالح** في قاموسه **الشامل**، كالتالي: إزالة جزئية أو كلية للقلفة لدى الذكر[7]. فيما تعرفها **موسوعة علم الإنسان** بأنها: إزالة الجلد الزائد من العضو الذكري[8]. إن هذه التعريفات الاصطلاحية لا تختلف في مجملها عن تلك اللغوية، إلا أن التعريفات اللغوية كانت أكثر دقة، من حيث تعريف العادة/ أو الممارسة والاصطلاح الموائم لكلا الجنسين، حتى من حيث المشترك بينهما.

1-1- ختان الإناث Female Circumcision:

يعتبر ختان الإناث معقدا وغامضا، بالمقارنة بختان الذكور، ومرد ذلك إلى الاختلاف الثقافي بين الشعوب والمجتمعات، وكذا العقائد والمذاهب الدينية، مما يعني أن عملية الختان متباينة، وتتم بأكثر من طريقة، وهذا في حد ذاته، يطرح إشكالا في صياغة تعريف دقيق حولها. إذ يعرف في **موسوعة الثقافة الجنسية** كالتالي: إزالة الجزء العلوي القريب جدا من البظر، وربما جزء يسير من البظر نفسه[9] وتعرفه **موسوعة علم الإنسان** بأنه: إزالة الشفرة التناسلية للمرأة [10]. يظهر من خلال التعريفين، أن موضع القطع غير محدد، وفي هذه الحالة، لا يمكن تعريف ختان الإناث، خارج الثقافة المنتجة له، وإلا أصبح عملية عشوائية.

فيما يجرد البعض ختان الإناث من رمزيته الاجتماعية، ويخرجونه عن سياقه الثقافي الذي يتم فيه، بوصفه عملية تشويه الأعضاء الجنسية للأنثى، حيث يعرف بأنه:"عادة قطع وتشويه الأعضاء التناسلية للفتيات القاصرات[11]. نشير في هذا السياق، أن معظم التعريفات لم تحدد سن الختن بالضبط، لكن التعريف السابق، يخص الختان بالقاصر دون مرحلة البلوغ، وهذا يرتبط بالثقافة الممارسة له، فيما تتجاوزه التعريفات الأخرى، وتعممه على المرأة التي تخطت مرحلة البلوغ، لأن العديد من الثقافات، تجعل الزواج مرحلة ثانية، بعد مرحلة الختان. كما تعرفه **منظمة الصحة العالمية WHO** كالتالي: كل الإجراءات التي تتضمن الإزالة الجزئية أو الكلية للأعضاء التناسلية الخارجية للأنثى، أو إلحاق الأذى بتلك الأعضاء، لأسباب غير طبية[12]. لم تحدد منظمة الصحة العالمية سن الختن، ولكنها بينت أن الختان لا يمارس كشكل من أشكال التطبيب في المجتمع.

أما من الناحية القانونية، فنجد أن القانون لم يتطرق إلى تعريف ختان الذكور، ولكن عرف **خفاض الأنثى** في بعض القوانين بأنه "بتر الأجزاء الجنسية للأنثى (كليا أو جزئيا)" والاصطلاح العلمي له هو **Female Genital Mutilation** وترجمته **التشويه التناسلي للنساء**، ويرمز له اختصارا **(FGM)**. ولذلك، يصنف ختان الإناث

قانونيا من بين صنوف العنف، الموجه ضد الأنثى، أكثر منه عادة جمعية أو عرفا اجتماعيا، طالما أنه يتضمن **التشويه**، وبالتالي **الإساءة والإيذاء**.

فيما يحدده فقهاء الشريعة الإسلامية، على النحو التالي: "قطع جلدة تكون في أعلى فرج المرأة، فوق مدخل الذكر، كالنواة أو كعرف الديك، والواجب قطع الجلدة المستعلية منه دون استئصال"[13] إن هذا التعريف، يميز بين نوعين من الختان، أحدهما شرعي، والآخر جائر يخرج عن أحكام الشرع الإسلامي، وهو الذي يشمل قطع أو بتر الأعضاء التناسلية الخارجية للمرأة. ويذهب الفقهاء في ذلك، إلى أن الهدف من عملية ختان الأنثى، هو طهارتها وعفتها وتعديل شهوتها الجنسية، دون الإخلال بفطرتها الجنسية.

هذا، ولما كانت أشكال ختان الإناث متباينة بدرجة كبيرة، وفقا لاختلاف الثقافات والديانات بين الشعوب والمجتمعات، ومع اهتمام منظمة الصحة العالمية بقضية التشويه الجنسي للإناث، دارت نقاشات متعددة حول تصنيفه، فظهرت بذلك عدة تصنيفات، أهمها ذلك الذي وضعته منظمة الصحة العالمية، حيث تصنف الممارسات التي تندرج تحت التشويه الجنسي للإناث، إلى أربعة أنواع رئيسية، حسب مقدار الأنسجة والأعضاء التناسلية المبتورة، نوردها على التوالي:[14]

1- استئصال جزئي أو كلي للبظر.

2- استئصال جزئي أو كلي للبظر والشفرين الصغيرين دون الشفرين الكبيرين.

3- تضييق فتحة المهبل بالخياطة مع إزالة البظر أو عدم إزالته، ويعرف **بالخفاض الفرعوني /Infibulation Pharaonic**. ودار حول هذا النوع جدل كبير بين الباحثين، فيما يتعلق بنسبه إلى الفراعنة من عدمه، إلا أن غالبية المؤرخين والأطباء المصريين، يفندون ما ذهب إليه غيرهم، ويؤكدون أن عادة ختان الأنثى لم تكن معروفة لدى الفراعنة المصريين، بل نسبت إليهم عن طريق الخطأ، لعدم توفر الشواهد المادية التي تثبت ذلك، إما على أوراق البردى أو جدران المعابد أو حيطان القبور.

4- يتضمن كل الإجراءات الأخرى الضارة بالأجهزة التناسلية للمرأة، التي تتم لأغراض غير طبية، مثل: الوخز، والشق، والكشط والكي.

2- الموروث الثقافي Cultural Heritage:

يصنف مفهوم الثقافة، من بين أكثر المفاهيم تداولا واستخداما في حقل العلوم الاجتماعية، وأكثرها تعقيدا في الوقت نفسه، حيث يصعب إيجاد تعريف شامل وموحد لها، في زخم التعريفات المنتجة حوله، ومع ذلك يشمل مفهوم الثقافة كل منتجات المجتمع الإنساني، بشكليها المادي وغير المادي، والمتراكمة عبر سيرورته التاريخية، وعليه فإنها تمثل مجمل التراث الاجتماعي للبشرية[15]. وما دامت كذلك، فإنها تعد محصلة "العلوم، والمعارف، والأفكار، والمعتقدات، والفنون، والآداب، والأخلاق، والقوانين، والأعراف، والتقاليد، والمدركات الذهنية والحسية، والموروثات التاريخية، واللغوية، والبيئية.. التي تصوغ فكر الإنسان، وتمنحه الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تصوغ سلوكه العملي في الحياة"[16]. وبهذا المعنى، يكون لكل مجتمع نمط ثقافي معين، يميز شكل سلوكه وممارساته وفكره وتمثلاته. وتحريا منا للدقة في استخدام المفاهيم، استخدمنا مفهوم **الموروث الثقافي** أو التراث الثقافي، الذي نجده أكثر تعبيرا، وتحديدا للمعنى المتوخى، بالمقارنة ومفهوم الثقافة الواسع. حيث يشير مفهوم الموروث الثقافي إلى "مجموع العادات والمأثورات الشعبية، والأعراف والمنجزات الثقافية، التي ورثها الخلف عن السلف"[17].

3- العنف الأسري Violence Domestic:

يشكل **العنف** ظاهرة اجتماعية قديمة، تبرز في سلوك الإيذاء بالفعل أو بالكلمة أو بالإشارة والتلميح، في الحقل التصادمي مع الآخر. وهو يندرج ضمن أهم المفاهيم السوسيولوجية، كونه يتجاوز التجربة النفسية والذاتية للفرد، ويتصل بالتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية، في المجتمع. وعليه، فإنه يمثل حالة مركبة بين التجربة النفسية والاجتماعية، في إيذاء الآخر والإضرار به. ويعني العنف في أحد معانيه كما يراه علماء الاجتماع:" الاستخدام الفعلي للقوة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر المادي والنفسي بالأشخاص والإتلاف للممتلكات"[(18)]. ولما كان العنف يمارس داخل بيئات اجتماعية مختلفة، فإنه يأخذ صفته وتسميته منها، كالعنف الذي يحدث داخل البيئة الأسرية، فيصطلح على تسميته "**العنف الأسري**"، حيث يعرف بأنه "أي اعتداء بدني أو نفسي أو جنسي، يقع على أحد أفراد الأسرة، من فرد آخر من الأسرة نفسها".

ثانيا:ختان الإناث مصدره وتاريخه:

إن عادة الختان قديمة، عرفتها العديد من المجتمعات الإنسانية، قبل ظهور الأديان السماوية، منذ آلاف السنين، لذلك يصعب تحديد تاريخ ممارستها بالضبط، والمجتمع الذي مارسها لأول مرة، كما يصعب أيضا تحديد طبيعتها، لذلك تختلف آراء وتقديرات المؤرخين والباحثين حولها، فالبعض يرجع منشأها إلى الحضارات العريقة، مثل: المصرية والفينيقية، ويفسرون انتقالها إلى غيرهم عن طريق **المثاقفة Acculturation**، والبعض الآخر ينسبها إلى الثقافة الإفريقية القديمة، حيث ارتبطت ببعض معتقداتهم الشعبية والدينية، وما يدعم ذلك، أن المجتمعات الإفريقية، هي أكثر من يمارسها بين غيرها من المجتمعات، إلى يومنا هذا، حيث أحصت **منظمة اليونيسيف Unicef** ما يزيد عن **27** منها، تمارس عادة ختان الإناث، لاسيما في وسط إفريقيا، وجنوب الصحراء الكبرى، فيما تمارس بأعداد أقل في آسيا وأجزاء من الشرق الأوسط[(19)]. إذ تتركز أعلى نسبة للإناث المختونات اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين **15** و**49 سنة** في: **الصومال 98 %**، و**غينيا 97 %**، و**جيبوتي 93 %**، و**مصر 91 %**، و**سيراليون 90 %**. لكن الثابت، أن كل قارات العالم – قديمها وجديدها- قد مارست ختان الإناث، بأسلوب أو بآخر[(20)]، تحت مسميات مختلفة.

وبحسب ما ذهب إليه علماء الأنثروبولوجيا، فإن عادة الختان تعد جزءا من طقوس **التكريس Initiation**، والتي تعرف **بطقوس العبور Rites of passage** في مجتمعات كثيرة من العالم، وبخاصة الإفريقية، والتي تتضمن عمليات فيزيقية تتم على الجسم مثل البتر، ويتطلب إجراؤها، **عزل** الإناث اللاتي يراد تكريسهن عن العلاقات الاجتماعية والحياة الاعتيادية، ويدخلن بذلك في مرحلة **التمرد الطقوسي**، بعدها يتعين إعادة دمجهن، عن طريق طقوس التكريس داخل المجتمع، بوضعهن الجديد، إذ تمثل عملية **إعادة الدمج** هذه، ميلادا رمزيا جديدا، حيث تتيح للبنت الانتقال أو العبور من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البالغين، وهكذا تصبح قادرة على ممارسة الجنس و/ أو الزواج.

كما ترتبط عادة ختان الإناث، ببعض المعتقدات القديمة، المنتشرة في بعض الثقافات الإفريقية، والتي تعتقد في **الجنس المزدوج Bisexuality**، ومفاده أن هناك بعضا من الأنوثة لدى الذكر، وبعضا من الذكورة لدى الأنثى، ولذا يتوجب إزالة الجزء الأنثوي الموجود لدى الذكر، في قمة عضوه التناسلي، كي يصبح رجلا كاملا، وبالمثل أيضا، يزال العضو الذكري الموجود في الأنثى، في قمة عضوها التناسلي، لتصبح امرأة حقيقية تامة الأنوثة، قادرة على ممارسة وظيفتها الجنسية. ومن بين المعتقدات الإفريقية القديمة، التي توجه الأفراد لممارسة

ختان الأنثى، تلك التي تقول بوجود ملاك مع كل طفل يولد ذكرا أو أنثى، فإذا لم يختن، اختفى الملاك وحل محله الشيطان[21]. كما تروي الأساطير الأفريقية القديمة، أسطورة قبيلة **مانتجا**، التي تصارع فيها الأخوان باجنزا وياكومو أمام الإله، وجرح فيها الأول وتم ختانه، وبعد شفائه رفض العلاقة الجنسية مع زوجته، التي طلبت أن تختتن هي الأخرى، كي ترضي زوجها[22].

إن هذه المعتقدات وإن بدت خرافية، تلعب دورا هاما في حث أفراد الجماعة، على ممارسة هذه العادة الجمعية، وتناقلها وتوريثها عن طريق التنشئة الاجتماعية، وترسيخها من خلال أنماط الطقوس، المعروفة والمألوفة لديها.

وتجد هذه العادات عزوتها في نسبها للدين، سواء كان محليا أو سماويا، وهو ما يمنحها قدسيتها الاجتماعية، وإن كانت الديانات المحلية تمثل انعكاسا للثقافات المحلية، على خلاف الديانات السماوية التي تصنع وتنمط الثقافات الإنسانية.

ففي الديانة **اليهودية** يطلب الختان لكل الذكور، اتباعا لتعاليم إبراهيم إلى الرب في التوراة، كونه علامة على استحقاق ذرية إبراهيم الولاية على البشر، حيث أمر عليه السلام بختن نفسه وهو في سن الثمانين، وختن أيضا ابنه إسحاق. لكنه بالنسبة للإناث لا يعد طقسا يهوديا، وإنما تمارسه طائفة **الفلاشا** الأثيوبية، التي يعيش معظمها حاليا في إسرائيل، ولأنها تتسم بانعزالها وانغلاقها منذ آلاف السنين، "لم يكن لها اتصال، لا بالنصوص اليهودية المحددة، ولا بالمصادر الحاخامية العليمة"[23]. أما في الديانة **المسيحية**، فقد كان الختان متبعا في أول عهدها، ثم نبذه الرسل، وتم استبداله بالتعميد أو **المعمودية Baptisma** في الكنيسة، ويقصد به تغطيس الطفل في الماء، وبذلك تقلصت ممارسته، وانحصرت في أثيوبيا وبعض أنحاء مصر. وفي الديانة **الإسلامية**، يبرز الخلاف المذهبي بين فريقين من الفقهاء والعلماء المسلمين، أحدهما يرى أن الختان مشروع للذكور والإناث، فيما الآخر يرى أنه مشروع للذكور وحدهم دون الإناث، وفي ذلك تفصيل:

بالنسبة للفقهاء الذين يقولون بمشروعية ختان الإناث، فإنهم يفسرون مصطلح ختن بالقطع، ويعممونه على الذكر والأنثى، استنادا إلى الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده « إذ التقى الختانان وجب الغسل» ويقصد بالختانان ختان الذكر وختان الأنثى (الخفاض). ولعل أكثر الأحاديث النبوية تداولا، والتي يستند إليها مؤيدو ختان الإناث، حديث عن أم عطية الأنصارية أن امرأة كانت تختن بالمدينة، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم:«لا تنهكي فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للبعل»[24]، فالرسول عليه الصلاة والسلام، لم يمنع الخاتنة من الختن، بل نهاها فقط عن الإنهاك، وهو المبالغة في القطع. هذا، ويمكن تقسيم الفقهاء الذين يجمعون على مشروعية ختان الإناث، إلى ثلاث درجات، "بين قائل بالوجوب وهم الشافعية، وقائل بالسنية وهم الحنفية والمالكية، وقائل بالمكرمة وهم الحنابلة" [25]. والسند الشرعي في ذلك قوله تعالى: ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا ﴾[26] مع ما ثبت عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أن الختان من ملة إبراهيم عليه السلام، وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «الفطرة خمس أو خمس من الفطرة الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب» ولم يفرق بين الذكور والإناث.

في حين يذهب فريق آخر من العلماء، إلى عدم مشروعية ختان الأنثى، وبأن الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم في مجملها ضعيفة الإسناد، بدليل أن الكثير من المجتمعات الإسلامية لا تعرف هذه العادة، وإنما تعود ممارستها إلى بعض المعتقدات الراسخة في الثقافات الإفريقية القديمة، حيث يشهد علماء الثقافة

الإفريقية، بأن الطقوس التقليدية والقبلية في إفريقيا، تتفوق على الدين. وبحكم عوامل التواصل والانتشار الثقافي (المثاقفة)، بين المجتمعات والشعوب، اتسع نطاق ممارستها، وأصبحت متضمنة في أعرافهم وعاداتهم الجمعية.

ثالثا: الأبعاد الثقافية والرمزية لعادة ختان الإناث في المجتمع العربي

إن تناول الأبعاد الثقافية والرمزية، لعادة ختان الإناث، تستدعي منا، عرض مدخل حول الطقوس ورمزيتها، طالما أن العادة محل الدراسة، لا تنفك عن الطقوس المساوقة لممارستها، وإن كانت تختلف من مجتمع إلى آخر، من حيث مصدر الشرعنة الاجتماعية.

1- الطقوس ورمزيتها الاجتماعية:

بداية، يجب أن ندرك أن مختلف العادات الجمعية المنتشرة والمتعارف عليها، بين المجتمعات والجماعات الاجتماعية، لا تكون في استقلالية عن ما يعرف بـ **الرأسمال الرمزي** المشترك بين أفرادها، بغض النظر عن مصدر ممارستها، ويعد الرأسمال الرمزي مفهوما مفصليا في النموذج التفكيري، الذي طرحه عالم الاجتماع الفرنسي **بيار بورديو P.Bourdieu (1930-2002)**، حيث يرى أنه على غرار الرأسمال الاقتصادي، فإن الرأسمال الرمزي يمثل قيمة لحامليه، ويتسم بالتراكمية، ويمكن أن ينتج منافع أو مزايا أخرى، إذ يعرفه بأنه:"تلك الموارد المتاحة للفرد نتيجة امتلاكه سمات محددة كالشرف **Honor** والهيبة **Prestige** والسمعة الطيبة **renown** والسيرة الحسنة **reputation** والتي يتم إدراكها وتقييمها من جانب أفراد المجتمع[27]. حيث يكون **للرمز الاجتماعي Social Symbol** "معنى عام، يشترك فيه أفراد المجتمع، كالرموز التي تظهر في الميتولوجيا والفولكلور"[28]. لذلك، لا يمكن فهم وظيفة عادات جمعية معينة، خارج الرأسمال الرمزي، الذي تحمله جماعة بعينها.

وحتى تكتسب العادة الجمعية، في المجتمعات القبلية، معناها ورمزيتها الاجتماعية داخل الجماعة الاجتماعية، فإنها ترتبط أساسا بـ **الطقوس Rites**، والتي تتعدد وتختلف من جماعة إلى أخرى، بل ومن مجتمع إلى آخر، باختلاف الثقافات السائدة فيها. حيث يعرفها **دافيز فلويد Davis-Floyd** بأنها:"أداء رمزي نمطي ومتكرر، لقيمة أو معتقد ثقافي، وتعمل الطقوس على تعزيز التماسك الاجتماعي، من خلال مواءَمة نسق اعتقاد الفرد، مع نسق اعتقاد الجماعة التي ينتمي إليها"[29]. وتمثل **طقوس العبور Rites of passage** نوعا منها، حيث تؤشر على انتقال الفرد من مرحلة أو حالة اجتماعية إلى حالة اجتماعية أخرى مغايرة. وندرج فيما يلي، التعريف الذي صاغه الأنثروبولوجي البلجيكي **فان جنيب Van Gennep** حولها "تلك الطقوس التي تصاحب كل تغير في المكان والحالة والوضع الاجتماعي والعمر، فحياة الفرد تتشكل من مجموعة من المراحل المتعاقبة، عبر بدايات ونهايات محددة، كالميلاد والبلوغ الاجتماعي، والزواج، والأبوة، والانضمام لطبقة اجتماعية أعلى، والالتحاق بتخصص مهني أرقى، وهكذا حتى الوفاة. وثمة شعائر مرتبطة بكل حدث من تلك الأحداث، يتحدد هدفها الجوهري في تمكين الفرد من المرور (رسميا) من وضع اجتماعي محدد، لوضع آخر يحدده المجتمع"[30].

وحسب **فان جنيب** فإن طقوس العبور هذه، تتحدد في العادة بثلاث مراحل أساسية:

المرحلة الأولى: **طقوس الانفصال Rites of Separation** في هذه المرحلة ينفصل الفرد عن جماعته، ويتخلى عن مكانته بينهم.

المرحلة الثانية: **الطقوس الانتقالية Transition Rites** يبدأ الفرد في هذه المرحلة بالتخلي عن طقوس معينة، واستبدالها بطقوس جديدة. لذلك، يصطلح على هذه المرحلة بالموت الرمزي.

المرحلة الثالثة: **طقوس الاندماج Rites of Incorporation** تمثل مرحلة اندماج والتحاق الفرد بجماعته، أو شغل مكانة اجتماعية جديدة بين أعضائِها. ومن ثم، تعتبر هذه المرحلة ميلادا رمزيا جديدا للفرد.

ويقرر **فان جنيب** أن المراحل الثلاثة لا تتجلى بالدرجة نفسها، في كافة المجالات، فطقوس الانفصال تبدو أكثر وضوحا في مراسم الجنائز، فيما تتمظهر الطقوس الانتقالية في فترة الشروع في الزواج أو الخطوبة **Betrothal** والحمل، أما طقوس الاندماج فتبدو أكثر تجليا في حفلات الزواج، ومع ذلك لا ينبغي النظر لكل تلك المراحل بشكل منفصل، فقد تتداخل المراحل الثلاثة – واقعيا– في عملية واحدة[31].

أما عن انعكاسات التمظهرات الطقوسية الجماعية، فإنها تكسر رتابة الحياة الاجتماعية اليومية للجماعة، حيث يتم الانتقال من اليومي المعتاد بالنسبة للفرد، إلى الجماعي الاستثنائي، فتتجدد الروح، بالتقاء الجموع لتحتفل، إذ تخترق الممارسات الاستثنائية أو الطقوسية، القواعد العادية المتبعة في الحياة اليومية. كما تقوم هذه التمظهرات الطقوسية، بتقوية مشاعر الانتماء الجماعية، والتعلق بنظام أخلاقي أعلى، يتسم بالغيبية. حيث يرى **دوركايم Durkheim**أن الطقس يوحد مشاعر الأفراد المجتمعين معا، ويوحد إحساسهم، فيقومون بالتعبير عن أنفسهم بأفعال وممارسات مشتركة، وبذلك يؤكد لنا الفكرة التي تقول "إن الطقوس قبل كل شيء، هي الوسائل التي من خلالها تؤكد من جديد جماعة بشرية حضورها دوريا". فيقول **دوركايم** إن الحياة الجماعية، بوصولها إلى درجة معينة من الفاعلية، التي توفر شروطا ديموغرافية ومجتمعية وثقافية، تعمل على بعث الحياة الدينية، لأنها تحدث حالة جيشان، تعبر شروط النشاط النفسي، إذ لا يمكن أن يوجد مجتمع، لا يشعر بالحاجة إلى تثبيت وتقوية المشاعر الجماعية، بين فترات منتظمة ومحددة، ويتم ذلك عبر الاجتماعات والجمعيات الدينية[32].

وحول هذه النقطة بالذات، تجدر الإشارة إلى مسألة هامة، والمتمثلة في امتزاج الطقوس الدينية بالموروث الثقافي للجماعة، بحيث يحدث اتحاد بين ما هو ديني وثقافي، كلما تقادمت الظاهرة أو العادة الجمعية، فالدين يؤثر في معتقدات وسلوك وممارسات الأفراد والجماعات، فتتشكل بذلك طقوس دينية معينة، وفقا لتعاليمه، لكن الممارسة الاجتماعية لها، قد تسبغها أو تحرفها، بما يتماشى وثقافة المجتمع أو العرف الاجتماعي، فتظهر بذلك طقوس هجينة، ليست بالدينية الصرفة، أو الثقافية المحلية أو التقليدية، لهذا تترنح العديد من العادات الجمعية والممارسات الطقوسية المساوقة لها، بين الديني والثقافي، ويصعب لذلك تحديد مصدرها الأول، وتعتبر ظاهرة ختان الإناث من بينها.

2- الرمزية الاجتماعية لعادة ختان الإناث في المجتمع العربي:

لقد عرفت بعض المجتمعات العربية كذلك، عادة ختان الإناث، وبخاصة مجتمعات المشرق العربي، منذ عهد الجاهلية، بيد أن العادة غير معروفة في المجتمع المغاربي، إلا ما نذر، حيث يقتصر الختان على الذكور فقط، وتمثل هذه العادة بالنسبة للمغاربة، سنة دينية مؤكدة، بل وينزلونها منزلة الفرض الديني، لأنها في اعتقادهم تميز المسلمين عن غيرهم، فمن خلال الختان يمر الطفل من مرحلة اللا دين إلى مرحلة التدين، لذلك يعتبر الختان من طقوس العبور في المجتمع الإسلامي. ففي المجتمع الجزائري مثلا، يبرر الأفراد ختان أبنائهم بقولهم:"حتى ندخلهم دين الإسلام". فالاعتقاد السائد بينهم، أن الطفل يكون مجردا من أي ديانة، ولكنه يصبح مسلما من خلال طقس الختان، حيث تقام الولائم في جو بهيج، ويلبس الولد اللباس التقليدي، ويتلقى الهدايا ومبالغ مالية من أقربائه وجيرانه، كما يحرص الجزائريون على ختان أولادهم قبل سن التمدرس، فقد جرى العرف الاجتماعي بينهم، أن يختن الطفل في سن مبكر. فالختان إذن طقس عبور، يمكن الفرد من الانتقال من وضع إلى آخر، ويسمح له

بالاندماج الديني أو الاجتماعي، في إطار المجتمع الذي سيعيش فيه. ويعد ختان الذكور العادة الجمعية والشعيرة الدينية، المشتركة بين كل المجتمعات العربية، التي تدين بالإسلام. لكن، وبالمقابل تمثل عادة ختان الإناث، وإن بررتها المجتمعات التي تمارسها بأنها دينية، مكمن الاختلاف والتعارض فيما بينها. حيث تمارس في: **الصومال 98%، جيبوتي 93%، مصر 91%، السودان 88%، موريتانيا 69%، اليمن 19%**، و**العراق 8 %**[33].

إن انتشار عادة ختان الإناث، في بعض المجتمعات العربية، مرده – في تقديرنا– إلى عاملين أساسيين:

1– العامل الثقافي: ويرتبط بخصائص المجتمع العربي، إذ هو مجتمع قبلي بدوي، ذو نظام أبوي، السلطة فيه تكون للذكور، سواء كان شيخ القبيلة في البادية، أو للأب والابن الأكبر، الذي يرث سلطته من بعده في العائلة، أما المرأة فإن لها أدوارا محددة ثقافيا واجتماعيا، ويتوقع منها المجتمع الذكوري أداءَها، كما هو مطلوب منها، خاصة إذا علمنا أن المجتمعات البدوية العربية، تعتبر المرأة كائنا أحمقَ ومنتقصا، لا يحسن التصرف، وقد يجلب بذلك العار لقبيلته، فتوكل شؤون المرأة وكل القرارات التي تخصها إلى الرجل (والدها، زوجها..). ففي الجزائر مثلا، يقال:"**المرأة بومبة**"، والأخيرة مشتقة من المفردة الفرنسية **Bombe** وتعنى **قنبلة**، وهذا يوحي، بأن البنت تهدد شرف وعز العائلة في أي لحظة، تماما كالقنبلة. فالبنت في الثقافة العربية لا تحظى بمكانة الولد، ويكفي أنها كانت نذير شؤم في الجاهلية، وتدفن وهي حية (عادة وأد البنات).

كما يعتقد أن شرف العائلة، قد تدنسه المرأة، كونها رمزا للضعف والخنوع، وعليه فإن هذه المجتمعات القبلية، تمارس عادة ختان الإناث، حتى تضبط سلوك الفتاة، وتحفظ شرف العائلة وشرف القبيلة تباعا. فالختان والحال هذه، يمثل ضمانا لعدم الانزلاق في الخطيئة، وأن إضعاف شهوتها الجنسية، يكون حائلا، لعدم ممارسة الجنس، خارج إطار الزواج. وأكثر من ذلك، يطلب الرجال ختان المرأة، معتقدين أنه علامة على عفتها وطهارتها. ولذلك تسارع الكثير من الأسر في تلك المجتمعات، إلى ختان بناتهن، خوفا من شبح العنوسة والوصم، فالفتاة غير المختتنة، تكون حظوظها في الزواج ضئيلة، لأن الرجال يطلبون ويقرون ويشترطون الختان للمرأة، حتى تقبل كزوجة.

2– العامل الديني: إن جل المجتمعات العربية، بدوية تقليدية من حيث تكوينها، ولذلك فإنها، تحتكم إلى الدين، وتنهل منه: تمثلاتها وممارساتها وعاداتها وأخلاقياتها، ولما كانت بعض المجتمعات العربية، تتبع المذهب الفقهي الشافعي، والذي يوجب الختان للأنثى، تمارس هذه العادة، من منطلق شرعيتها الدينية، وبأنها فرض ديني تماما كختان الذكور، لذا لا يجب تركه، وإلا وقع الإثم على العائلة، التي امتنعت عن ختان بناتها.

أما عن رمزية ختان الإناث في المجتمع العربي، وإن برر بأنه ديني أو موروث ثقافي، الغرض منه طهارة البنت وعفتها، فإنه يظهر بوضوح، الهيمنة الذكورية على الإناث، والتحكم في حياتهن الجنسية، إذ يؤدي الختان إلى إضعاف الرغبة الجنسية لهن، مقابل قوتها لدى الرجل، لأن ختانه، لا يتجاوز القلفة، وبذلك لا تتأثر وظائفه الجنسية، فيما أن لختان المرأة أنواعا متعددة، كلها تؤثر في شهوتها الجنسية، لاسيما ما يعرف بالختان الفرعوني، والذي يعد أخطرها، وهو ينتشر بكثرة في السودان ومصر.

إن النظام الأبوي، يعمل على سحق المرأة، بالقدر الذي يجعلها، في موقع الضعف أمام الرجل، والتبعية إليه، في نواح متعددة أهمها: الاقتصادية والمادية، وقد بلغ ذلك حتى الجنسية منها. ففي المجتمع الجزائري، لا تمارس عادة ختان الإناث، لكن ثمة طقس سحري، يشترك في الوظيفة نفسها وختان الأنثى، إنه **سحر الربيط**، حيث مارسته العديد من الأسر الجزائرية، إبان الحقبة الاستعمارية، لاسيما في الأرياف، خوفا من اغتصاب الجنود

الفرنسيين لبناتهم، فعن طريقه، تحافظ الأسر على شرف البنات، ولكن هذه العادة الاجتماعية– السحرية، ترسخت في ثقافة الكثير من الأسر الجزائرية بعد الاستقلال، وهي تمارس بكثرة في منطقة القبائل. والربيط هو طقس سحري غرضه، منع أي رجل من الاتصال الجنسي بالفتاة **المربوطة**، والأدهى من ذلك، أن هذا الطقس يمارس في سرية تامة، على الفتيات الصغيرات، قبل سن البلوغ، ودون علمهن، فالكثيرات يكتشفن الأمر يوم زفافهن.

ويتطلب هذا الطقس السحري شروطا لإتمامه، بحيث يكلف "**طفل** صغير السن، ويحبذ أن يكون اسمه **محمد**، بشراء **قفل Lock**، ولا ينبغي له أن يسأل عن **ثمنه** حين يشتريه، و**لا يفتحه** أثناء سيره في الطريق، ولا **يعد النقود** المتبقية من شرائه"[34] ويوم الزفاف أو بالأحرى ليلة الدخلة، يفك السحر، على يد الساحرة نفسها وبالطريقة نفسها، وذلك بأن يفتح القفل، وتتلى عليه التعويذة، وإذا حدث وأن توفيت أو سافرت، فإن ساحرة أخرى تحل محلها، لكن يشترط أن تحمل الاسم نفسه، للساحرة الأولى. وبالمقارنة بين العادتين، نجد أن ختان الإناث والربيط، تؤديان الوظيفة نفسها، فالأولى (الختان الفرعوني تحديدا) تمنع الفتاة من الاتصال الجنسي بالرجال، والثانية تمنع الرجال من الاتصال الجنسي بالفتاة، والنتيجة واحدة "التحكم في الحياة الجنسية للمرأة".

فالأسرة والحال هذه، تعمل من خلال الموروث الثقافي، على تكبيل الحياة الجنسية للبنت، والتحكم فيها، دون إرادتها. حيث تقوم الأسرة بتكريس عادة ختان الإناث، من خلال طقوس العبور، فالبنت تختن تحضيرا للزواج، وتقبل معظم البنات بذلك، لأنها عادة الأجداد، وصك الضمان والعذرية، بالنسبة للخاطب. فهل يمكن اعتبار ختان الأنثى عنفا أسريا ضدها؟

رابعا: عادة ختان الإناث وعلاقتها بالعنف الأسري

يمكن تصنيف ختان الإناث، من بين وجوه العنف الأسري الموجه ضد المرأة، والذي يتضمن العنف الجسدي والجنسي والرمزي، إضافة إلى انعكاساته الصحية والنفسية والجنسية عليها جراء ممارسته. كما يتعدى الختان، كونه عنفا ضد المرأة، إلى عنف ضد الطفولة، مادامت هذه العادة، تمارس على الإناث في سن مبكر، قبل مرحلة البلوغ والنضج. وبالرغم من ذلك، نجد أن بعض الجماعات الاجتماعية، في الكثير من المجتمعات العربية، لا تزال تحافظ على هذه العادة، وتحث على ممارستها، باعتبارها من السنن الدينية، وإرث الأجداد، مما يموضعها بين العادات المقبولة والاعتيادية في المجتمع.

تعكف الأسر العربية على ممارسة ختان الإناث، بوصفه موروثا ثقافيا، الأصل فيه ديني، ولذلك يتقبل الوالدان ختان البنت، وهو كأي شعيرة دينية أخرى، ومن هذا المنطلق لا تقاوم البنات هذه العادة، إلا ما ندر، طالما أنه مشروع في حقهن. ونعود في هذه النقطة بالذات، لنذكر بأهمية الرأسمال الرمزي، المشترك بين الجماعة الاجتماعية، فالدلالة الرمزية للختان، تعكس قيم الشرف العائلي والقبلي، أكثر منه شرف البنت، فالموضوع يتم التعامل معه في صيغة الجماعة لا المفرد، وبذلك قد لا يعد عنفا بالنسبة إليهم، فيما يعد كذلك، بالنسبة لأولئك الذين لا يشتركون معهم، في الرأسمال الرمزي الذي يمتلكونه.

إن قبول هذه الممارسة اجتماعيا، هو الذي يمنحها الشرعية، وبالتالي الاستمرارية، رغم ما تشتمل عليه من صنوف العنف الجسدي والجنسي، فاستعمال أدوات حادة كالسكاكين والشفرات والمقصات وقطع الزجاج، دون تخدير في بعض الأحيان، يسبب آلاما شديدة للبنت، ناهيك عن ربط ساقيها ببعضهما من الورك إلى الكاحل، ومنعها من الحركة، لمدة قد تصل إلى ستة أسابيع، حتى يلتئم الجرح. وبخاصة والنوع الذي يعرف **بالختان الفرعوني**، حيث يتم استئصال كامل الأعضاء التناسلية الخارجية، ثم يتم تقطيبها وخياطتها، مع ترك فتحة

صغيرة، قطرها بين مليمترين أوثلاثة ملِيمترات، للسماح بخروج البول ودم الحيض. وبحال اعتبرت أسرة الفتاة، أن الفتحة التي تركت لها، ما تزال كبيرة، تكرر العملية مجددا. ولكم أن تتصوروا حجم هذه المعاناة وتبعاتها، لاسيما ليلة الدخلة، حيث يعاد فتحها باستخدام أدوات حادة، إلى جانب المأساة يوم وضع المولود، فالكثيرات لفظن أنفاسهن أثناء عملية التوليد، أو يموت أطفالهن بسبب ختانهن، والكثيرات توفين من مضاعفات عملية الختن نفسها، منها: النزيف الدموي، وفقر الدم، والتهاب الجهاز البولي والإنتان، والإصابة بِالكزاز والغنغرينا، ومرض تآكل اللحم، والتهاب بطانة الرحم..، خاصة مع استخدام أدوات غير معقمة.

أما من الناحية النفسية، فيترك الختان آثارا قوية على البنت، أولها الصدمة التي تواجهها، وهي تكبل من طرف النسوة، استعدادا للألم، وجهلا لما سيعقب كل ذلك، وما يليها، من اضطرابات تنعكس في الكوابيس والأرق، خوفا من تكرار ما حدث. وتشير بعض الدراسات إلى أن من آثار الختان النفسية، ظهور حالة الاكتئاب بين المختونات. ولما كان الرأسمال الرمزي مختلفا بين الجماعات الاجتماعية، فإن رمزية الختان ليست بالمتماثلة بينها، فإذا كان يعكس في بعضها معيار الشرف والعفة والطهارة، فإنه لا يغدو عند البعض الآخر، مجرد تشويه للأعضاء التناسلية للمرأة. ومن ثم، يمكن للفتيات المختونات، اللاتي غادرن مجتمعاتهن الأصلية لظروف ما، للاستقرار في مجتمعات لا تمارس هذه العادة، أن يتعرضن لصدمة نفسية، حيث يشعرن بالخجل والخيبة والنقص، لأن ما كن يفتخرن به، لا قيمة له لدى غيرهم، وأن شرف المرأة وعفتها، لا يتحدد ببتر أعضائِها التناسلية، أو تقطيبها وخياطتها، وهو ما يؤدي إلى ضعف الأداء الجنسي لديها، وذلك من حيث رغبتها أو استجابتها الجنسية، أو انعدامها تماما في بعض الأحيان، بالمقارنة والنساء غير المختونات، مما ينجر عنه عسر الجماع.

خامسا: كيف نحافظ على الثقافي في مواجهة العنف؟

بالرغم من أن ختان الإناث، يعد موروثا ثقافيا، أكثر منه شعيرة دينية، نظرا لتعدد طرق ممارسته وأغراضه، ورمزيته الاجتماعية، إلا أنه مشبع بالعنف، ويتضمن صنوفا متعددة منه، تتمظهر خاصة في طريقة ممارسته. صحيح، أنه لا يفترض بنا أن نفسر ثقافة الآخر، أو نصفها أو نحكم عليها بالعنيفة، لأن ما تتضمنه من معتقدات وعادات تحمل معنى ودلالة، لدى الجماعة التي تمارسها (الرأسمال الرمزي)، ولكننا ندرك أيضا، أن قيم الشرف والرفعة وحسن السيرة، أكبر وأسمى، من أن ترتبط بمجرد بتر عضوي، طالما أن التربية التي يتلقاها الفرد منذ صغره، وبغض النظر عن الجنس، هي من توجه سلوكه واتجاهاته ومواقفه، ومجمل أفعاله وتصرفاته.

وتتحمل الأسرة، بوصفها البيئة الاجتماعية الأولى، التي يتم فيها تكوين الشخصية، مسؤولية نقل المعتقدات والعادات البالية والمفاهيم الدينية الخاطئة والمحرفة، كما تتحمل أيضا مسؤولية تنشئة البنات وتربيتهن على الانضباط، والسلوك الاجتماعي والأخلاقي المقبول اجتماعيا، والذي لا يتعارض والتعاليم الدينية الحقة، التي توجه من خلالها كل أعراف وعادات وممارسات المجتمع، حيث يتكامل الديني والاجتماعي، في تربية الفرد.

فالفتاة المدركة، بأن الممارسات الجنسية، خارج إطار الزواج، ممنوعة اجتماعيا ومحرمة دينيا، وأن الشرف كامن في ذاتها وأخلاقها وفكرها، لا يمكن لها بأي حال من الأحوال أن تنحرف. زد على ذلك، أن الانحراف الجنسي الذي تخشاه المجتمعات المؤيدة لختان الإناث، لا يرتبط بالممارسات الجنسية المباشرة فحسب، بل إن قطع الأعضاء التناسلية للبنت، قد لا يكون حائلا بينها وبين الانحراف الجنسي، فقد تكتسب عادات جنسية أخرى، كالعادة السرية أو الإدمان على المشاهد الإباحية..، لأن ما تمتلكه من أفكار ليس متصلا بالعضو المبتور. وفي هذا السياق نطرح السؤال التالي: هل يغيب الانحراف الجنسي تماما لدى المجتمعات التي تمارس ختان الإناث؟

قطعا لا. لأن الانحراف ليس مجرد سلوك، وإنما هو فكرة أو معتقد يوجه السلوك، وحتى يضبط سلوك البنت، يتوجب توعيتها وإرشادها أولا، من خلال تنشئتها على **التربية الأخلاقية Moral Education** التي لا تنفك عن التربية الدينية وتحديدا **الإسلامية Islamic Education**، فالأفكار السليمة والمعتقدات الصحيحة، لا تولد إلا سلوكا قويما وسويا. فلا يكفي إذن، أن نحكم على أي فتاة بالشرف والعفة، لمجرد أن أعضاءَها التناسلية الخارجية مبتورة.

خاتمـــــة

وبهذا، نكون قد وصلنا إلى ختام عملنا البحثي، الذي يمثل محاولة متواضعة، للإجابة عن دلالة ورمزية ختان الإناث في المجتمع العربي، ونحن نؤكد مرة أخرى أن التربية الدينية الصحيحة، هي التي نحفظ بها شرف بناتنا وأسرنا ومجتمعاتنا، وأن ختان الإناث يظل موضوعا شائكا ومعقدا، لاسيما من الناحية الفقهية، حيث تختلف المذاهب الأربعة حول وجوبه أو استحسانه فقط للمرأة، وإن كنا في المجتمع الجزائري والمغاربي بشكل عام، لا نمارس هذه العادة، فلأنها غير متضمنة في موروثنا الثقافي، وهي قبل كل شيء سنة دينية (المذهب المالكي)، وليست فرضا دينيا، وإن كان ثمة بعض العادات الجمعية السلبية والضارة، التي تستهدف الهيمنة على المرأة والتحكم في حياتها الجنسية، بالشكل الذي يرتضيه ويحبذه الرجل. فالدين الإسلامي دين عدل وإنصاف، لا دين قهر وإذلال، وأن بتر الأعضاء التناسلية للمرأة – حسب اطلاعنا– مصدره غير إسلامي، لأن الأصل في عملية الختان عدم الإنهاك، ولكنها امتزجت بطقوس التكريس، التي عرفت خاصة في المجتمعات الإفريقية، قبل ظهور الديانات السماوية الكبرى، وانتقلت وانتشرت وامتزجت بما نص عليه الشرع، وأكثر من ذلك، تفوقت عليه في بعض المجتمعات بما فيها العربية، فأصبحت بعض صنوف الختان الجائرة كالختان الفرعوني، مشرعة اجتماعيا ومبررة دينيا. وعليه، يتوجب على المجتمع العربي، تنقية موروثه الثقافي، وإعادة تشكيل اتجاهاته ومعاييره وأطره التفسيرية، بدءا من الأسرة وكافة مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وعلى رأسها المدرسة، وذلك عن طريق التربية الدينية الصحيحة، كي يتحرر من كل العادات البالية والسيئة، التي تؤسس للصراع والعنف، وإن كان رمزيا.

الهوامش:

1-http://www.who.int (2008).

2– محمد فياض، (1998)، البتر التناسلي للإناث (ختان البنات)، ط1، دار الشروق– القاهرة.

3– شارلوت سيمور سميت (2009) موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة: علياء شكري وآخرون، ط 2، المركز القومي للترجمة– القاهرة.

4– الموسوعة الفقهية، (1983)، خاتم– خليطان: الجزء التاسع عشر، ط 2 الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

5 – ابن منظور (د.ت) لسان العرب: الجزء الثالث عشر، بيروت: دار صادر.

6– الموسوعة الفقهية، مرجع سابق.

7– مصلح الصالح، (1999)، الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي– عربي، ط 1، دار عالم الكتب– الرياض.

8– سميث، مرجع سابق.

9– موسوعة الثقافة الجنسية: الموسوعة الشاملة لكل المواضيع الجنسية للشاب والفتاة وللمرأة والرجل، (د.ت)، ط1، www.fiseb.com

10– سميث، مرجع سابق.

11– ختان الإناث https:// Genderation.xyz/wiki/ تاريخ الاطلاع: 2018/09/01.

12- who, Ibid.

13– ما حكم ختان البنات؟ دار الإفتاء المصرية https://ar.islamway.net/fatwa/15505/ تاريخ الاطلاع: 2018/09/06.

14– حسني إبراهيم عبد العظيم، (2015)، الأبعاد الاجتماعية والرمزية للممارسات الجسدية، نقد وتنوير: مجلة فكرية تربوية فصلية محكمة، عدد: 03، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية.

15– ر.م. ماكيفر وشارلز بيج، (2000)، المجتمع، ترجمة: علي أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية– القاهرة.

16– تشيكالوف. د وكوندراشوف. ف (2014) تاريخ الثقافة العالمية، ترجمة: عماد طحينة، ط1، مشروع كلمة– أبوظبي.

17– أحمد زكي بدوي، (1982)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي– فرنسي– عربي، ط2، مكتبة لبنان– بيروت.

18– مديحة أحمد عبادة وخالد كاظم أبودوح، (2008)، العنف ضد المرأة: دراسات ميدانية حول العنف الجسدي والعنف الجنسي، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع– القاهرة.

19-http://www.unicef.org, (2016).

20– حامد رشوان، (1991)، ورقة عمل: ختان الإناث– الجانب الأخلاقي، المؤتمر الدولي الأول عن الضوابط والأخلاقيات في بحوث التكاثر البشري في العالم الإسلامي، الأزهر– القاهرة.

21– فياض، مرجع سابق.

22– خالد منتصر (د.ت) الختان والعنف ضد المرأة https://www.khaledmontaser.com تاريخ الاطلاع: 2018/09/06.

23 – فياض، مرجع سابق.

24– ما حكم ختان البنات؟ مرجع سابق.

25– ست البنات خالد محمد علي (2008) ختان الإناث الشرعي، ط 3 الخرطوم: مطبعة السداد.

26– سورة النحل، الآية: 133

27- Bourdieu, p (1985), The social space and The genesis of groups, Social Science information, (24)2.

28–أحمد زكي بدوي، مرجع سابق.

29- Davis-Floyd, R. (2008), Rites of Passage, In Darity, W., (ed.) International Encyclopedia of the Social Sciences, 2nd edition, Macmillan Reference, USA.

30- Van Gennep, A. (1960), The Rites of Passage, Translated by Vizedom, M. and Caffee G., The University of Chicago Press, Chicago.

31- Ibid.

32– سيغالان، م (2002)، الطقوس والطقوسيات المعاصرة، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، ترجمة: ميلود حكيم، عدد: 46، مجلد: 12، بيروت: شركة حوار للصحافة والنشر.

33– العبيدي. ر، (2017)، ختان الإناث... عنف وتمييز جنسي مؤذ ضد المرأة https://www.arab48.com

34– شبحة بداك، (2018)، العلاج التقليدي في منطقة القبائل (سوسيولوجيا الصحة في المجتمع الجزائري)، ط 1، قسنطينة: مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع.